

المشرق

النُجج الضامن

بغبطة السيد البطريرك كيرلس الثامن

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

ما كاد الله تعالى يتأثر بعبد بطرس الارض لينقله الى دار الخلود حتى لطف بطرس السماء بطبيع الفريد وشفق على يتم كنيسته فاقام لاختوتنا الروم الكاثوليك الافاضل يوم عيد الميمون راعياً صالحاً وأباً غيوراً يعدونه خير خلف لمن سلف ألا وهو صاحب الغبطة السيد الجليل كير كيريون كيرلس ججا رئيس اساقفة حلب وسالوقية وقورش. فدقت البشائر وعلت اصوات الفرح واخذ الجميع يبتهون نفوسهم اذ حصلوا على مثل بطريركا اشارت اليه القلوب قبل ان تتفق على انتخابه الاصوات. اما نحن فتقدم لمببطه ولكل طائفة المالكين تهاننا الخالصة وزفغ الى ابي الاتوار اكف الضراعة ليؤيد مختاره بيمينه القادرة ويقرن بالنجح صوالح اعماله ويبلغه اقاصي آماله لمجد الله الاعظم وخير الكنيسة الكاثوليكية فيعد للرب شعباً كاملاً ويتيم رغبة ابي المؤمنين في توثيق عرى الاتفاق بين الاخوة وجمع القلوب في عواطف الحب ووحدة الايمان لتكون عملاً قليل حظيرة واحدة وراع واحد.

*

ولما كان غبطة البطريرك الجديد هو الثامن من اسمه على كرسي انطاكية الرسولي وطلب لنا بعض ادباء طائفة الروم الكاثوليك ان نسطر لهم ملخص تاريخ الذين

سبقوا عهده بهذا الاسم اجبنا بطيب خاطر الى طلبهم لاسيما أننا رأينا اختلافاً كبيراً في القوائم التي سردت فيها سلسلة بطاركة انطاكية قترى البعض لا يذكرون الا ستة اشخاص اشتهروا باسم كيرلس والبعض خمسة او اقل. فراجنا الكتب المرتوق بهم في هذا الامر كالبولنديين في المجلد الرابع من تموز حيث عددوا بطاركة انطاكية من كاثوليكين وبقية وغيرهم وراجعنا ايضاً الشرق المسيحي للوكيان وتاريخ بارونوس المطول. ومن كتب الشرقيين التي اعلمنا فيها النظر كتاب التواريخ الملية في شرح احوال البطريركية لقس يوحنا العجيسي وكتاب الخلاصة الوافية في تاريخ بطاركة انطاكية للخوري ميخائيل بريك الرومي الاورثوذكسي. تقابلنا بين هذه التاليف كلها واستخلصنا منها ما يأتي مع فوائد اضفناها اليها

﴿ اسم كيرلس ﴾ اول ما ظهر اسم كيرلس في القرن الاول للميلاد استعمله الرومان واشتقوه من اليونانية كيريس (Κύριος) بمعنى الرب والسيد فصاغوه على مثال الاعلام المصغرة فصار كيرلس اي السيد الصغير. كما قالوا « Plautillus » و « Domitilla » في تصنيف « Plautus » و « Domitia » وفي تواريخ شهداء النصرانية عدده من الابرار الذي دعوا باسم كيرلس اعظمهم في سوربة كيرلس الشماس البلبكي الذي مات في سيل الايمان القويم على عهد يلياتوس المارت قتل الوثنيون في بلبك بعد ان مثلوا به واذاقوه الموت الوانا. وقد شرف هذا الاسم رجال تفتخر بهم النصرانية لا يزال ذكرهم حياً في الكنيسة منهم كيرلس الاورشليمي الذي ناصب شيعة آريوس مدة نحو اربعين سنة فرد سورتها وكبح جماحها وتوفي سنة ٣٨٦. ومنهم كيرلس الاسكندري الذي دافع عن وحدة الاقنوم في المسيح وعن الامومة الالهية فحسرت شوكة البدعة النسطورية وافاز الايمان الكاثوليكي بانتصار باهر كان موته سنة ٤٤١. ومنهم رسول الصقالبة القديس كيرلس الذي ارجع الى الايمان في بلاد القلاخ والبغدان واللان وكروايا وولاتيا شعوباً عديدة بشرهم بالانجيل مع اخيه ميثودوس في القرن التاسع. وكانت وفاته في رومية فاسر البابا اديان الثاني بان يدفن في القبر الذي كان اعد له لنفسه. وهؤلاء القديسون الثلاثة المدعوون باسم كيرلس قد احيا ذكرهم البابا لاون الثالث عشر المالك سيداً في الكنيسة الغربية واسر بان تنظم اعيادهم في سلك المتقدمين بين اولياء الله

بطاركة انطاكية المعروفون باسم كيرلس ☩ انطاكية اول كرسي بطريركي جلس عليه استقف باسم كيرلس وكان ذلك في اواخر القرن الثالث. خان الاسقف تيارس في رئاسة مدينة الله انطاكية في السنة الرابعة للقيصر يربوس اي السنة ٢٨٠ وهو البطريك التاسع عشر منذ جلس بطرس هامة الرسل على الكرسي الانطاكي. وقد جعله الحوري ميخائيل بريك المشرين في الرتبة وذلك لانه ايقم بطريركاً دعاه مكاربوس بين دمتريانوس البطريك الخامس عشر رولس السيطاطي الارثوذكسي ولم نجد ذكراً لمكاربوس المذكور في تاريخ اوسابيوس وفي السلاسل البطريكية التي راجعناها. وكان كيرلس الاول رجلاً باراً ادرجت الكنيسة اسمه في سجل القديسين وتذكره في اليوم ٢٢ من تموز وجاء في النكسار الروماني انه اشتهر ببلبه وقداسته. وفي تاريخ المجيبي انه « كان رجلاً بسيطاً جداً وغيروراً وذا خصال حميدة وفضائل وافرة ودبر الكنيسة بمثل صالح ». ولا مرأه انه جاهد في سبيل الايمان وتحتل محناً شتى على عهد ملكي رومة المفتحين ديوقاسيان ومكسيان. وقد نقل بارونيوس عن سبيريوس انه مات في الحبس. الا ان اوسابيوس الموزخ لم يدون هذا الامر في تاريخه مع انه عاش في زمانه ليس بعيداً عنه. اما تاريخ وفاته فقد اختلف فيه الكتبة والارجح انه توفي سنة ٣٠٠ بعد ان دبر الكرسي مدة عشرين سنة

ولم يظهر اسم كيرلس على الكرسي الانطاكي بعد وفاة كيرلس الاول حتى اواخر القرن الثالث عشر. قال الموزخ اليوناني پاخييراس: « ولما توفي ارمانوس (وهو البطريك المنة والرابع عشر) انتخب اساقفة الشام له خاناً كيرلس (وهو الثاني باسمه) وكان رئيس اساقفة صور. اما اهل قيليقية فاخاروا ديونيبيوس استقف مدينة پشيبهوليس من اعمال قيليقية » وكان ذلك سنة ١٢٨٧ للميلاد فجرى نزاع بين المنتخبين لم يحد اواره الا سنة ١٢٩١ بوفاة كيرلس الثاني فصار تدير الكرسي في يد ديونيبيوس الى وفاته سنة ١٣٠٦. ركيرلس هذا لم يذكره الحوري بريك في تاريخه بل لم يذكر احداً من البطاركة الذين خلقوا ايريناوس الاول الى اغناطيوس الثاني وهم اثنا عشر بطريركاً في جملتهم كيرلس الثاني وكيرلس الثالث وانما ذكر فقط بطريركاً يدعوه اثناسيوس ولا ذكر له في غيره من الموزخين ١)

١) وقد انتب الحوري ميخائيل بريك الى هذا الحال فكتب في تاريخه بعد ذكر اثناسيوس: « انسه

ثم خلف ديونيسيوس السابق ذكره كيرلس آخر الثالث باسمه سنة ١٣٠٦. وقد ذكره الوزخ الرومي نيقفوروس كالتوس وهو من كتبة القرن الرابع عشر على أن بعض اصحاب الانتقاد لا يتقنون بقول نيقفوروس ويظنون انه خلط بين كيرلس الثاني والثالث وقد جاء في سلسلة بطاركة انطاكية العريسة التي نشرها السمعاني ان خلف ديونيسيوس كان يدعى كيريانوس لا كيرلس والله اعلم. واماً اخبار هذا البطريرك فجهولة ورابع البطاركة الانطاكيين الذين عرفوا باسم كيرلس جلس على الكرسي البطريركي سنة ١٦١٨ وهو على حساب لوكيان البطريرك المئة والحسون وفي سلسلة المجيبي المئة والثامن والمثرون. وفي تاريخ اخوري بريك المئة والتاسع والثلاثون. وقد خلف في البطريركية اخاه اثناسيوس الثالث المعروف بابن الدباس وكان اثناسيوس كاثوليكياً شهد بذلك نيقفوروس ملبان مطران جزيرة نكوس والاب حنا غوتيار المرسل اليسوعي وكلاهما عاش في أيامه (١٠١). وقد جاء في مجلة كنانس الشرق (ج ٢ ص ٤١٢) ان اثناسيوس عقد مجعماً في دمشق سنة ١٦١٧ فصادق مع اساقفته على القضايا الحس التي تحدت في المجمع النلورنتيني. وزاد القس يوحنا المجيبي في تاريخه (ص ٣١٠) انه اتفق وایاعم على ان يرسلوا قاصداً من قبلهم الى البابا الروماني لكي يطلبوا الشركة لكنه لم يستمر زمناً مديداً في الكرسي. ولما خافه اخوه كيرلس الرابع اقتنى آثاره وعضد الايمان الكاثوليكي وقد تعرض له في سلطته بعض اخصامه. قال صاحب مختصر تاريخ الروم الملكيين (ص ١٩): «ان البعض من اشداد كيرلس كان قد انتخب السيد اغناطيوس مطران صيدا. فوقع وقتل الشقاق بين البطريركين وكان اغناطيوس غنياً لكنه لم يكن محمود الصفات وقد تحزب له الامراء من آل معن فاضطهد كيرلس وجماه يكابد نفقات جزية وقيل انه وافق على قتله فقتل». وقد جرى ذلك سنة ١٦٢٨ لكن اغناطيوس لم ينتفع من اثمه زمناً طويلاً فقتل ايضاً بعد ثلاث سنوات. قال القس يوحنا المجيبي في التتحيكون (ص ٣١٠): «وكيرلس هذا كان كاثوليكياً

بالحرف: (ومن بعد مولاه لم عدنا وقتنا على تاريخ بطاركة انطاكية لا في الكتب ولا في التراخي الافرنجية ولا في الرومي ولا العربي وكان انتهازم ال ايام فروح الملك الظاهر لمدينة الله. ومن ذلك الحين عدت اخبارم بالكلية لدم ظهور مرزخ جديد يتبع تواريخ علماء المئة المسيجين وكل ذلك لكثرة المم والنم والبسر والضييق الذي اصاب بني الامسودية سببه كثرة خطايام»

(١) راجع مجلة اصدااء الشرق (Echos d'Orient. IV p. 274)

مثل اخيه اثاسيوس وكان دائماً ينادي ضد الانشقاق « وقد سجع الله دعاءه لأن خلفاءه اقبسيوس كرمه الثاني واقتيوس الاول الصاقرلي ومكاريرس الثالث جاھروا يعتمد الكنيسة الرومانية رغماً عدد المزمين حتى ان الاب بسون اليسوعي دون في كتابه سرورياً المتدسة (ص ٧٢) ان عدد الكاثوليك في دمشق وعدها كان بلغ سبعة آلاف نفس كيرلس الخامس دُعي الى الكرسي الانطاكي سنة ١٦٧٢ فدبره الى اوانا سنة ١٧٢٠ وقد لقي في نوافيطرس مطران حماة وفي اثاسيوس الرابع خصين الذين ناصبوا وفصلوا مدّة عن كرمه لكن الله اظفروه باعدانه فاس رعيتهم بجزم ودرية . وقد اثنى على هذا البطريك الشهير دمتريرس بروكوبوس فنعته « برجل وسولي ساجي القداسة ذي معارف واسعة بارع بالأمميين العربية واليونانية ضليح بتفسير الكتاب الالهي ومبشر نشيط لكلمة الله » امّا انتازه الى السدة الرومانية فقد وصفت الاب ناخي رئيس رسالة اليسوعيين السوروية في أيامه (١) قال : « انه اوسل الى البابا اقبليس الحادي عشر صودة ايتانه مع عناية الرعاية دلالة على خضوعه التام لتائب المسيح سنة ١٧١٧ ». وفي أيامه علا منار الكتلكتة في بلاد الشام واشتهر كثيرون من الاساقفة والكهنة المستقبلي الايمان . قال صاحب التواريخ المليّة : « وقد تظاهر كيرلس جدّاً في اواخر سني وناسه في رفض الانشقاق وفي الاتحاد مع الكنيسة الرومانية وما كان يكلّ عن الوعظ والتعالم لشميه وكان عنده كنة كثيرون ذور ايمان حارّ وغيره ومعرفة لم يكلأوا عن التعالم والكرز باسم البطريرك الصالح ويثبتوا الجميع في الاعتقاد بالرأي المستقيم . وقد شهد له ايضاً الحوردي ميخائيل بريك حيث قال بعد ذكره استعفاً اثاسيوس الرابع : « ثم ان القبوط كيرلس دبر الشعب حثاً ودعى وعية المسيح يهدو وكان صاحب سعد وجاه امام الحكام وطاعت له البلد وجميع الاورشية وعثر الكنيسة وزينها وسعى بالحكمة والتدبير وكذلك عثر القلابة وله اتحاب كثيرة مع المسيحيين ورفع عنهم مظالم شتى وهو مشكور للغاية (٢) » امّا كيرلس السادس فيور سارافيم طاماس ابن اخت المطران اقبسيوس مطران صيدا .

(١) راجع الرسائل البانية (Lettres édifiantes I. 87) (٢) جاء في مجلة اصدا . الشرق (٥ : ٢٢٠) ان كيرلس ألف « كتاب الدع المسجوم على انشقاق الروم » . لكن هذا غلط فان الكتاب المذكور من تأليف الاب فرواج اليسوعي . وكذلك ورد هناك (ص ٣٢٨) ان كيرلس الخامس جمع في طرابلس مجماً لتعزير الايمان الكاثوليكي وسند قوله هذا الى تاريخ القس بروحا اليسبي وقد راجعنا هذا الكتاب فلم نجد اثرًا للمجمع المذكور

وأكبر انصار الكنيسة في زمانه. وكان هذا قد درس في مدرسة مجمع انتشار الايمان في رومية واحرز دئمة الكرسي الرسولي الذي وكل اليه بعض المهمات في أيام كيرلس الخامس. فلما توفي في حلب اثنا عشر رابع خلف كيرلس الخامس سنة ١٧٢٤ اختار الاساقفة المجتمعون في دمشق ساروفيم المذكور (١١). الا ان احد كهنة البطريرك اثنا عشر يدعى سلبطرس لم يرض بهذا الانتخاب وادعى لنفسه البطريركية استناداً الى وصية البطريرك المتوفى فذهب الى القسطنطينية وطلب من المجمع القسطنطيني ان تمهد اليه البطريركية فعملوا. ومذ ذاك اليوم قُسمت الطائفتان قسماً نهائياً فصار لكل منها راع. امّا كيرلس السادس فائتبه حبر الاحبار سنة ١٧٢٩ ومنحه البابا بنادكتوس الرابع عشر درع الرئاسة سنة ١٧٣٧ فسمى على غاية امكانه في نشر الايمان الصحيح وقد عانى من المشقات والحزن ما يكل عن وصفه قلم الا ان الله قرن بالنجح ماعية وانى رعيته ولم ترل مذ ذاك اليوم حبة الجردل تكبر وتقوى حتى صارت اليوم دوحه باسقة الاغصان وارفه الظلال تسر مدينة الله. وكانت وفاة كيرلس السادس سنة ١٧٦٠ الا انه تنزل عن كرسيه قبل ذلك بسنة

امّا كيرلس السابع وهو آخر من عرف بهذا الاسم قبل البطريرك الجديد فانه انتخب في غاية كاتون الاول من سنة ١٧٩٤ وكان اسمه كيرلس ساج وكان مطرانا على حوران بيد انه لم يجلس على الكرسي البطريركي الا سنتين ونصف سنة فتوفي في ٢٥ حزيران ١٧٩٦ ودُفن في عيتيت حيث توفي. قد وصفه صاحب مختصر تاريخ طائفة الروم الملكيين بكونه « سليم القلب لا غش فيه متراضاً محباً للجميع »
فترى نماً سبق ان الذين دبروا الكرسي الانطاكي باسم كيرلس كلهم متن امتازوا بالفضل واستقامة الايمان فشرقوا الكرسي الذي تولوا ادارته وزدوا بيعة الله بفضائلهم. ولا شك ان البطريرك الجديد يزيد اسم كيرلس رفعة وجلالا ويبقى على طروس التاريخ من اعماله ذكراً طيباً فان لنا في ماضيه احسن ضمانه استقبله حقن الله اماننا وحفظ شخصه الكريم سنين عديدة لخير الكنيسة وفخر الوطن

سقياً لطائفه غدا نبراسها كيرلس الفضال وهو الثامن
حبر به روض الكنيسة قد زها وجلوسه الميون نجاح ضامن

(٢) قد ظن لو كان في كتاب الشرق المسيحي (٢: ١٧١) ان ساروفيم وكيرلس متلفان وهو خطأ